مجلة دراسات في اللّغة العربيّة وآدابها ، فصليّة محكّمة ، العدد ٢، صيف ١٣٨٩ هـ ش ، ٢٠١٠ م

جماليّة توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في لزوميات المعرّي

د. سيد مهدي مسبوق*
د. علي باقر طاهري نيا**
مهدي تركاشوند***

الملخص:

شهد العصر العباسي ازدهارا واسعا في مختلف مظاهر الحياة ونشطت الحركة العلمية ووضعت مصطلحات كثيرة وجديدة في مختلف فروع المعرفة ودخلت بعض هذه المصطلحات في الأدب وجرت على اقلام الكتاب وألسنة الشعراء. فمن الطبيعي ألا تخلو منها أشعار كبار الشعراء كأبي تمام والمتنبي والمعري وغيرهم. ولما كان المعري ذا موهبة غزيرة وثقافة واسعة في مختلف العلوم والمعارف فقد أكثر من استخدام هذه المصطلحات العلمية في شعره خاصة ديوانه اللزوميات، وإسرافه في توظيف هذه المصطلحات في شعره قد أثار إعجاب فئة من النقاد والدارسين كما أثار طعن فئة أخرى.

هذا والمعري قد تعرض لمصطلحات العلوم المختلفة من الصرف والنحو والعروض والفلك والكيمياء والطب وغيرها. ومن الواضح أن دراسة هذه المصطلحات في شعره تكشف عن جانب من أفكاره وآرائه كما تنم عن سعة إلمامه بهذه العلوم وغزارة أدبه، فمن ثم تتوقف هذه الورقة عند المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية التي استخدمها الشاعراستخداما فنيا وذوقيا لايستوعبها المتلقى الا بعد التأمل في الجانب الفني والتي قد استخدمه الشاعر لتصوير خوالج نفسه والتعبير عن آرائه.

الكلمات المفتاحية:

المعري، المصطلحات، الشعر، الصرف، النحو والعروض.

---

* استاذ مساعد في جامعة بوعلي سينا بهمدان.

** استاذ مشارک في جامعة بوعلي سينا بهمدان.

*** طالب ماجستير في اللغة العربية و آدابها.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المقدمة

هوأحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي الملقب بالمعري والمكنى بأبي العلاء، قد ولد في معرة النعمان سنة٣٦٣ للهجرة وتوفي فيها سنة ٤٤٩ للهجرة .

ويبدو أنه لم يكن راضياً لا عن اسمه ولا عن كنيته، حيث اشار إلي ذلك غير مرة، منها ما قاله عن كنيته:

دُعِيْتُ أباالعلاء و ذاك مَينٌ ولكنّ الصحيحَ أبوالنزولِ[١]

وعن اسمه الاول:

وأحمدَ سمَّاني كبيري، وقلَّما فعلتُ سوى ما أستحقُّ به الذما[٢]

أُصيبَ أبوالعلاء بالجدري في الرابعة من عمره فصار ضريراً لايرى إلا الظلمة. وقد اشار إلي هذه العاهة في لزومياته اشارات كثيرة ذات لوعة وحزن، منها:

ذهابُ العينِ صانَ الجسمَ آونَةً عن التطريحِ في البيد الأماليسِ[٣]

مع هذا كله، وهبه الله نعمة جليلة نابت مناب عماه وهي ذاكرته القوية العجبية التي أسعفته في التفوق على معاصريه وفي تحصيل العلوم والقراءة والكتابة واصبحت خير معين له. درس المعري علوم الأوائل من النحو واللغة والعروض والحديث على مشاهير عصره، ثم هم بالأسفار، ورحل إلى المدن الشامية كأنطاكية وطرابلس وحلب واللاذقية للإستزادة من العلم ثم ولى وجهه شطر بغداد منتجع العلماء وقبلة الأدباء في ذلك الحين. وبعد أن أروى ظَمأه عبرالجولة في هذه المدن والاختلاف إلى الاوساط العلمية فيها والتعرف إلى الحضارات العريقة كحضارة الفرس والهنود واليونان عاد إلى مسقط رأسه معتزلاً الناس ومكتفياً باليسير من الطعام والكفاف من القوت مسمّياً نفسه رهين المحبسين يعني حبس النفس في المنزل وحبس البصر عن الرؤية. وظل الشاعر في هذين المحبسين زهاء خمسين عاماً. ولما أنتابته الأمراض وشعر بدنوّ موته أوصى بأن يُكتب على قبره:

هذا جناه أبي عَلَيَّ وما جنيتُ على أحد[٤]

١- لزوم، ص٣٦

٢- نفسه، ص٣٠٧

٣- نفسه، ص٧٢

٤ - ابن خلكان، ؟، ص١١٥

بقي المعري في قيد الحياة حتي سنة ٤٤٩ للهجرة. ولما مات أنشد على قبره أربعة وثمانون شاعرا مراثي، منها أبيات لعلي بن الهمام من قصيدة طويلة في رثاه ومنها:

إن كنتَ لم تُرِق الدماء زهادةً فلقد أرقتَ اليوم مِن جفني دما

سيرت ذكرَك في البلاد كأنه مسكٌ فسامعغ يضَمِّخ أو فما

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلةً ذكراك أخرَج فديةً مَن أحرَما[٥]

وقد أدرك أربعة من خلفاء بني العباس من المطيع لله الفضل بن المقتدر إلى القائم بأمر الله عبدالله بن القادر و كذلك أدرك خمسة من الخلفاء الفاطميين من المعزّ لدين الله معدّ بن المنصور إلي المستنصر بالله معد بن الظاهر[٦].

نظرة على أهم ميزات شعر المعري

كان المعري مطلعاً على أشعار القدماء ومتطلباً غرائبَ أشعارهم، والمتنبي الذي كان من أبرز الأعلام في الشعر العربي قد أُعجب به شاعرنا خاصة في الشطر الأول من حياته الأدبية وقبل أن يعكف على العزلة. وقد ظهر صدى هذا الإعجاب في ديوانه سقط الزند جلياً، حيث أخذ الشاعر يجري فيه على منهج المتنبي، خاصة في معانيه الحكمية وفخرياته. وفي معرض دراسته لشعر المعرّي ، يشيرالدكتور شوقي ضيف إلى هذه القضية قائلاً:«بدأ أبوالعلاء حياته الفنية في الشعر بتقليد المتنبي إذ كان يتعصب له تعصباً شديداً، وسقط الزند خير ما يفسر هذا الطور من تقليده إذ تراه ينظم على طريقة المتنبي السابقة، فهو يعني بالغريب والشاذ في التراكيب، كما يعتد بالتصنع...»[٧].

ومن أبرز مظاهر تعصب المعري لأبي الطيب ما حدث له في بغداد مع الشريف المرتضى، إذ روي أنه قد جرى في بعض مجالس الشريف المرتضى ذكرُ أبي الطيب فهضم المرتضى من جانب المتنبي فقال المعري: لو لم يكن له من الشعر إلاَ قوله: لك يا منازل في القلوب منازل، لكفاه، فغضب المرتضي وأمر بحبسه وقال للحاضرين أتدرون ما عنى هذا بذكر البيت؟ قالوا: لا، قال: عني به قول المتنبي:

---

٥ ـ الحموي، ١٤٠٠: ج٣ص١٢٦

٦ ـ النجار، ١٤١٨: ص٦٨

٧ ـ ضيف،؟ ص٣٨١

وإذا أتتْك مذِّمتي من ناقص فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ[٨]

ومما يدل كذلك على شغف أبي العلاء بأشعار المتنبي أنه شرح ديوانه في كتاب سَمّاه «اللامع العزيزى» وقد أهداه إلى الأمير عزيز الدولة، الذي تولي امارة حلب سنة ثلاث وثلاثين واربعمئة[٩]. ويذكر ابن خلكان أنه لما فرغ من تاليف كتاب «اللامع العزيزي» قرىء عليه فقال: كأنما نظر اليّ بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صممٌ

ثم أشار ابن خلكان إلى أنه ألف كتابا آخر مختصرا في شعر المتنبي سماه «معجز احمد» تكلم فيه عن غريب اشعاره ومعانيه ومآخذه على غيره[١٠].

أما الخصائص اللفظية لشعر المعري فتتجلى في ثروته اللفظية وبلاغة تراكيبه والأكثار من التكلف والتنميق بضروب البديع. وكانت ثروته اللفظية تشتمل على الكثير من الألفاظ الغريبة والتعابير النادرة والمترادفات الكثيرة[١١].

أصبح اللجوء إلى الصناعة والتكلف ميزة بارزة في عصر المعري وميداناً واسعاً لإظهار المقدرة الأدبية واللغوية بين الشعراء ولم يكن شاعرنا بمعزل عن هذه النزعة وإنما رافقها وشغف بها وأصبحت طابعا مميزا لشعره، وخير مثال على هذا التكلف هو ديوانه المسمى باللزوميات، وعني المعري بالمحسنات البديعية في شعره عناية فائقة وأسرف في التلاعب بالألفاظ والتلميحات التاريخية واستخدام المصطلحات العلمية حيث يقول الدكتور كمال اليازجي عن هذه الظاهرة في شعره: «والذي يظهر لدارس مؤلفات المعري أن عناية المؤلف في الشكل لم تكن اقل منها في الموضوع، بل ربما كانت القيمة في الكثير منها للشكل دون الموضوع، شأن الكثيرمن رسائله. فمؤلفاته جملة مظهر لسعة اطلاعه اللغوي ومرونته في تقليب الألفاظ والتراكيب ومقدرته في التنميق والتزيين والتجنيس وربما كان العامل الأول في تصنيف عدد من مؤلفاته إبراز هذه المقدرة والتبجّح بسعة العلم»[١٢].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٨ ـ حسين ،١٣٨٤ق، ص١٠٣

٩ ـ علي محمد،١٩٩٧م،ص١٥١

١٠ ـ ابن خلكان ،ص١١٤

١١ ـ اليازجي،١٤١٧، ص٢٢

١٢ ـ المرجع السابق

وأكثر المحسنات البديعية في شعر المعري استعمالاً هوالتجنيس والطباق والمقابلة والتورية ورد العجز على الصدر، والتجنيس بأنواعه المختلفة أكثرها استعمالاً، حيث يظهر الشاعر في لزومياته شغوفا به إلى حد الجنون. يقول الدكتورشوقي ضيف في سياق دراسة التصنع في لزوميات الشاعر: «إن أبا العلاء استطاع ان يستخدم هذا الجناس استخداماً مزدوجاً، فهو يأتي به غالباً ليعبرعن جناس من جهة وليعبر عن لفظ غريب من جهه أخري. كان أبوالعلاء يستخدم الجناس استخداماً لغوياً يريد به أن يدل علي مهارته في اللغة قبل ان يدل على مهارته في استخدام لون قديم من الوان التصنيف»(١٣).

ضاع اكثر مؤلفات المعري والمعروف والمطبوع من آثاره اليوم هو:

- لزوم ما لا يلزم
- سقط الزند
- ضوء السقط
- رسالة الغفران
- ملقي السبيل
- الفصول والغايات
- زجر النابح ومجموعة من الرسائل.

لمحة عن شيوع المصطلحات العلمية في الشعر العباسي

لقد اشتد احتكاك العرب بالثقافات الأجنبية في العصر العباسي ونشطت الحركة العلمية ونهضة الترجمة وحُملت إلى المسلمين قواعد المنطق والعلوم العقلية والفلسفة وظهر في ميدان الأدب شعراء قد تعرفوا إلى الكثير من هذه العلوم والمعارف وتعرضوا لها واستخدموا مصطلحاتها في أشعارهم استخداما استعاريا وذوقيا ،منهم أبو تمام وأبو الفتح البستي والمتنبي والمعري، من ذلک قول أبي تمام يصف الخمر مستخدما مصطلح الصرف:

خَرقاء يلعب بالعقول حبابُها كَتلاعب الافعالِ بالاسماء(١٤)

وقوله متمثلا بألفاظ علم المنطق :

١٣ ـ ضيف،؟:٣٩٩

١٤ ـ ديوان،١٩٩٤، ص٢٧

صاغَهم ذو الجلال مِن جَوهَر المجدِ وصاغَ الأنام مَن عَرَضِه[١٥]

ومن هذا القبيل قول أبي الفتح البستي:

وبصير بمعاني الشعـــ ر والإعراب جدا
قال لما أن رأنـــي طالبا مالا ورفدا
إن مالي يا حبـــيبي لازم لا يتـــعدي[١٦]

وقوله في موضع آخر:

عُزلتُ و لم أذنب ولم أكُ جانباً وهذا لإنصافِ الوزير خلافُ
حُذفتُ وغيري مثبتٌ في مكانهِ كأنيَ نونُ الجمعِ حين تُضافُ[١٧]

والمتنبي أيضا كان يجري على هذا المنوال ويوظف كثيرا من مصطلحات العلوم في شعره و«إنه لم يكد يترك شاذة نحوية إلا وتكلفها في قصائده»[١٨].

ومن ذلک قوله في قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني:

إذا كان ما تَنويهِ فعلاً مضارعاً مَضَى قبلَ ان تُلقَى عليه الجوازمُ[١٩]

أما المعري فقد أكثر من استخدام المصطلحات العلمية في شعره خاصة في ديوانه اللزوميات الذي استخدم فيه شتى المصطلحات العلمية من كيمياء، وفيزياء، وفلک، وجيولوجيا، ورياضة، وطب، وصرف، ونحو، وعروض وقافية... وغيرها. وبما أن المقام يضيق بنا أن نوسع القول في كل هذه المصطلحات فإننا نكتفي منها ببعض المصطلحات الصرفية والنحوية التي ينبسط ظلها على شعره وقبل الخوض في صلب الموضوع نسلط الضوء على موقف النقاد والدارسين من هذه الظاهرة في شعر صاحبنا.

موقف الباحثين من هذه المصطلحات في شعر المعري

الفئة المؤيدة:

من النقاد من يقف موقفا ايجابيا من هذه الظاهرة في شعر المعري باعتبارها عاملا اساسيا في روعة شعرالمعري وجماله، منهم طه حسين، ومحمد الشريقي وحماد أبو

١٥ ـ المرجع السابق،ص٣٨١
١٦ ـ ديوان،١٩٨٩،ص٧٨
١٧ ـ المرجع السابق،ص١٧٦
١٨ ـ ضيف،ص٣١٠
١٩ ـ ديوان ،١٩٩٧،ص٣٠٢

شاويش. يرى الدكتور طه الحسين أن وجود هذه المصطلحات في لزوميات المعري «يدل على شدة تاثير الدرس اللغوي في ملكته الشعرية»[٢٠]. يبدو في هذه العبارة أن طه حسين يقف موقف المعجب بهذه الظاهرة في شعر المعري ويكشف بصراحة عن موقفه هذا في موضع آخرحيث يقول :«تصرف أبي العلاء باصطلاحات العلم بهذا النحو من التصرف أكسب شعره ظرفا»[٢١].

واستحسن محمد الشريقي أيضا صنيع المعري في هذا المجال واظهر موقفه الإيجابي من هذه المبادرة وذكر:«أنّ أبا العلاء عندما ياخذ باختراع المعاني العامة من المسائل والمصطلحات العلمية والفنية خاصة لا يسخر الشعر للعلم بل يسخرالعلم للشعر فهو ليس بالشاعر الفقيه أو اللغوي أوالنحوي أو الفلكي بالمعنى المنتقص في الذوق الأدبي بل هو الشاعر الملهم أبدا»[٢٢].

والدكتور حماد أبو شاويش يتبنى نفس الموقف ويحبذ ما وظفه المعري في شعره من مصطلحات العلوم قائلا: «إن المصطلحات ألفاظ كغيرها من ألفاظ اللغة ومن حق الأديب أن يستعمل منها ما يحتاج إليه ليحدد الفكرة التي يريد التعبير عنها ويوضح التجربة التي انفعل بها ولا يخفى أن كثيراً من معاني أبي العلاء جاءت جديدة والمعاني الجديدة قد تحتاج إلى لغة جديدة لأدائها أو لتطويع اللغة المستخدمة، وقد استطاع أبو العلاء حقا أن يستغل مصادر اللغة وثرواتها إلى أقصى درجة ولا نكاد نجد شاعراً في العربية بلغ درجته من توظيف مصادر اللغة في الشعر والنثر»[٢٣].

الفئة المعارضة:

رغم أن مثل تلك المصطلحات تمثل في رأي بعض النقاد والدارسين ألوانا جديدة لتصاويرالشاعر المبدع التي يرسمها في شعره فقد ظهر من النقاد من يقف موقفاً سلبياً من هذه الظاهرة باعتبارها مظهراً من مظاهر التصنيع والتعقيد الفني ووسيلة

٢٠ ـ طه حسين،؟:ص٢٠٥

٢١ ـ المرجع السابق،ص٢١٠

٢٢ ـ الشريقي،١٩٤٥:ص٢٢٢

٢٣ ـ أبو شاويش،١٩٨٩،ص٢٤٣

يتعمدها المعري ليثبت براعته اللغوية ومعرفته العلمية. منهم شوقي ضيف وأحمد الشايب. يقول الدكتور شوقي ضيف ناعياً على المعري إسرافه في استخدام هذه المصطلحات: «لا نستطيع أن نفهم هذا التصنع لاصطلاحات النحو والصرف والعروض، وكان يلح في طلبه إلحاحاً شديداً أليس يدل ذاك على أن التفكير الفني لم يعد يدخل فيه شيء طريف وأن الشعراء قد أحسوا إحساساً ما بإجدابهم فانطلقوا يتكلفون في شعرهم هذه الكلف التي لا تفصح عن جمال فني سوى التعقيد الذي يدخله الشعراء من ممرات وأبواب كثيرة»[٢٤].

يرى هذا الناقد أن المعري هو اول شاعرعربي وسع نطاق توظيف مصطلحات العلوم والفنون في الشعر العربي ويقول: «لعله اول من وَسَّع استعارة الشعراء لاصطلاحات العلوم والفنون ومن قبله كان المتنبي يتصنع لذلك ولكنه لم يسرف فيه إسراف المعري الذي ذهب يطرَّز شعره بألفاظ العلوم والفنون بل أنَّنا نراه يدخل مسائلها في آرائه، وكأنّه يريد منها الحجة والدليل علي ما يذهب إليه من فكرة أو رَأي»[٢٥].

ويتبنى أحمد الشايب نفس الموقف قائلاً: «أرسى المعري على سابقيه في استخدام المصطلحات العلمية واتخاذها أقيسة وبراهين ليس فيها جمال الشعر وإن كان فيها تظرف النحويين والفقهاء»[٢٦].

والدكتور عثمان موافي يرفض عكوف الشعراء على هذه الرموز والمصطلحات بعامة، إذ إنها ــ في رأيه ــ تخل بعنصر التخييل أوالإيحاء الذي هو عماد الشعر ويرى أن«استعمال المصطلحات العلمية والفلسفية يؤدي إلى طغيان عنصر الإقناع على عنصر التخييل ويفسد بذلك التعبير الشعري إذ يجنح به إلى التقرير والدلالة المباشرة، لا إلى الإيحاء والدلالة غيرالمباشرة »[٢٧].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٢٤ ـ ضيف،؟:ص٤٠٥

٢٥ ـ شوقي ضيف،؟: ٤٠٣ص

٢٦ ـ الشايب،١٩٤٥،ص٣٨

٢٧ ـ موافي،٢٠٠٠،ص٢٢٤

نماذج من المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في شعر المعري

المصطلحات الصرفية

وظف المعري المصطلحات الصرفية والنحوية في شعره توظيفاً إستعارياً، لكنّه أكثرمن استخدام الصرفية منها. نبدأ بتحليل المصطلحات الصرفية قبل النحوية والعروضية.

ومن التمثيل بالإعلال قوله:

بتٌ كالواو بينَ ياءٍ و كسرٍ لا يلامُ الرجالُ إن أسقطوني[٢٨]

يصف المعري أحواله بين الناس وصفاً صرفياً ويشبهها بالواوالتي وقعت بين الياء والكسر[٢٩].

يريد الشاعر بهذا البيت أن يشير إلى أن شأنه في الاعتزال عن الناس شأن الواو في مضارع المثال الواوي وأمره ومصدره الذي تحذف منه الواو وتنفصل عن عين الفعل ولامه.

يعتقد أبوالعلاء إن الإنسان معذور في غدره وخيانته، لأنه قد ورث هذه الشيمة من آبائه:

وفي الأصل غشٌّ والفروع توابعٌ وكيفَ وفاءُ النجل والأبُ غادرٌ؟

إذا اعتلت الأفعالُ جاءتْ عَليلةً كَحالاتها أسماؤُها والمصادرُ

وقُل للغُراب الجَونِ إن كانَ سامعاً أأنت على تغييرِ لونِك قادرٌ؟ [٣٠]

يعلل المعري الصلة بين الأصول والفروع تعليلا صرفيا فيقول: الأفعال إذا كانت معتلة تبعتها مشتقاتها في الإعلال ولا تستطيع الخلاص منها. وعلى هذه القاعدة تتبع الفروع الاصول.

أما الغرض الذي قصده الشاعر فهو أن الابن يتخلق بأخلاق أبيه، إن كان الأب ذا نفس سليمة سيكون الابن سالما وإن كان خائناً سيحذوا الإبن حذوه.

ومنها قوله:

---

٢٨ ـ لزوم،ص٤٧٠

٢٩ ـ تُحْذف الواو التي هي فاء الفعل الثلاثي مفتوح العين في الماضي مكسورالعين في المضارع مثل: وَعَدَ ، وصف، فيجب حذف هذه الواو في المضارع والأمر. (النحو الوافي، عباس حسن، ٤: ٦٠٧)

٣٠ ـ نفسه، ص٣٤٣

إذا غدوتَ عن الأوطان مُرتحِلاً فضاهِ في البين حذفَ الواوِ في "يَعِدُ"
كانت فبانت وما حَنَّت إلي وطنٍ وعــادَ غادٍ إلي وكرٍ ولم تَعُد[٣١]

ينصح الشاعر المخاطب بالعزلة والتشبث بها ويقول: إذا رحلتَ عن وطنك فلا تعد إليه بل كن كالواو لأنها متى وقعت بين ياء وكسر تحذف لغرض صرفي فلا تعود إليه أبدا.

في موضع آخر يشبه نفسه بفعل قال في إعتلاله ويقول:

أُعللتُ عِلةَ "قالَ" وهي قديمةٌ أعيا الأطبةَ كلَّهم إبراؤُها[٣٢]

إنَه وظف في هذا البيت قاعدة صرفية للتعبير عن علة إنسانية واستمد من إعتلال قال وما يشبهها من الأفعال المعتلة وأشار بذلك إلى أنه لا يمكنه أن يبرأ من عاهته وعلتــه كما أن الأفعال المعتلة لا تبرأ من الاعتلال ويعني بذلك أن علته قديمة وأن الحياة ومــا فيها من الآلام والمصائب قد ثقلت عليه ولا نجاة له منها.

ومنها:

كم تَنْصَحُ الدنيا و لاتَقْبَلْ وفائــــزٌ من جَــدُّه مُقبــلُ
إن أذاهــا مثلُ افعالِنا ماضٍ وفــي الحال ومُستَقْبل[٣٣]

يخلق أبوالعلاء في البيت الثاني تصويراً رائعاً إذ يشبه أذى الدنيا بأزمنــة الأفعــال. ويقول كما ينقسم الفعل إلى الأزمنة الثلاثة[٣٤] كذا يستمر أذى الدنيا دائما ويشمل الماضي والحاضر والمستقبل.

ويقول مشبِها حالات الناس بإعراب الأفعال رفعاً ونصباً وخفضاً وجزماً:

وتُرفَع أجسادٌ وتُنصَب مَرَّةً وتُخفَضُ في هذا التُّراب وتُجزَمُ[٣٥]

يصف الشاعر أحوال الناس في النعمة والشقاء وصفاً صرفياً فكما يكون للفعل ثــلاث حالات من الرفع والنصب والجزم، للإنسان حالات مختلفة، كذلك منهم من ينعم في حياته

---

٣١ ـ نفسه، ص٣٠٩

٣٢ ـ نفسه، ص٥٦

٣٣ ـ نفسه، ص١٧٠

٣٤ ــ للفعل ثلاثةاقسام: ١–الماضي وهو فعل يدل على امرين :المعنى والزمان الذي فات٢–مضارع وهوكلمة تدل على امرين معا:المعنى و الزمن الصالح للحال او الاستقبال ٣–امر وهو كلمة تدل بنفسها على امرين :معنى مطلــوب تحقيقــه في زمــن مستقبل ولابد لفعل الامر ان يدل بنفسه مباشرة على الطلب .(النحو الوافي ، عباس حسن،١: ٢٧)

٣٥ ـ نفسه، ص٢٦٩

ومنهم من يشقي و يتحمل المصائب حتى يموت ويدفن، وهكذا جعل الشاعر الموت عامل خفض وسكون للإنسان.

وقال في ما يجمع على المؤنث السالم من غير العاقل:

إنَّ الرجالَ إذا لم يَحمِها رَشَدٌ مثلُ النساء عَرَاها الخُلف والخُلُف

ألا ترى جمعَ ما لا عقلَ يُسْنِدُه جَمعَ المونثِ[٣٦] فيه التاءُ والألفُ[٣٧]

عبى الشاعر بهذا البيت أن الرجل الذي لا يتمتع بالعقل في حياته يشبه المرأة الحمقاء. ولتبرير ما ذهب اليه إعتمد على قاعدة صرفية وهي أنّ جمع المذكر غير العاقل يكون على جمع المونث السالم.

وقال متمثلاً بعدم جواز تصغير المصغّر:

اردتَ إهانتي فحماكَ مني قضاءٌ فيّ كان له نُجوزُ

وجدتَني اللجينَ أو الثُّريَّا وتصغيرُ المصغَّر لايجوزُ[٣٨]

اللجين والثريا كلاهما علي زنة التصغير ولا يجوز تصغير المصغر، فاستمد المعري من هذه القاعدة الصرفية وقال: أراد عدوي تحقيري بتصغير شاني فوجدني كاللجين والثريا لا يجري عليهما التصغير لأنهما علي زنة التصغير والتصغير فيهما للتحبيب أو التعظيم فلا يمكن للشامت أن يحط من شأني .

وقال متمثلاً بعامل الخفض:

لا تدنَونَّ من النساء فإنَّ غِبَّ الأَري مُرُّ

والباءُ مثلُ الباءِ تَخـــ فِضُ للـــدنـــاءة أو تُجُرُّ[٣٩]

يقول: إحذروا النساء فإن كان أول القرب منهن حلو كالعسل فعقباه مُرٌّ كالحنظل ثم إستعار قاعدة صرفية لإثبات دعواه وإقناع الآخرين وهـــي تشبيه النساء بالبـــاء الجارة

---

٣٦ ــ جمع المونث السالم ينقاس في ستة اشياء منها: في وصف مذكرغيرعاقل مثل:كلمة جميل في :هذه بساتين جميلات (النحو الوافي ، ١: ١٠٢)

٣٧ ــ نفسه،ص٥٠

٣٨ ــ أحد شروط الأسماء التي يدخلها التصغيرهو: ألا يكون الاسم مصغر اللفظ، مثل كميت ، دريد ، وســـويد. (النحـــو الوافي، ٤: ٥١٤)

٣٩ ــ نفسه، ص٣٩٠

خفضاً ودناءةً. الغرض الذي قصده الشاعر بهذه البيت هو كما «الباء الجارة» يعمل في الإسم ويجره، كذا القرب من النساء يسوق إلي العار والذل.

المصطلحات النحوية

ليست المصطلحات الصرفية هي التي يستمدُّ منها الشاعر فقط، بل يميل إلى النحو ويستعير منه مادته الشعرية ليعبر بها عن معتقداته وآرائه تجاه الحياة.

منها قوله:

سِرٌّ سَيُعلَن والحياةُ مُعارةٌ ولتَقضِينّ بها ديونَ المُعسرِ

كخَبيءِ نِعمَ وبِئسَ يُخبّأ فيهما ويكون ذاك على اشتراط مفسِّر(٤٠)

يقول: الحق مكنون في هذه الدنيا، ومتى انقضت الحياة الدنيا يظهر الحق فيكافىء من حرم من أبنائه ثم يفسر عقيدته تفسيراً نحوياً ويختلق لها تصويراً ادبياً إذ يشبّه الحق المكنون بفاعل أفعال المدح والذم، فكما يكون الفاعل(٤١) في هذه الأفعال مستترا وجوباً إذا ولَيَها تمييز مفسر كذا يكون الحق مستوراً في هذه الدنيا ويظهر ويطلع عليه الناس متى بادت هذه الدنيا.

يريد أن يقول إن انقضاء هذه الحياة هو القرينة الدالة على الحق المستور فيها كما أن التمييز هو القرينة الدالة على الفاعل المستتر في أفعال المدح والذم.

ويرى المعري أن خير النساء هي من تلازم الخباء:

تَزَوَّج إنْ أردتَ فتاةَ صدق كمُضمَرِ نعم، دامَ على الضمير

إذا اطّلع الأوانسُ لم تَطّلع إلى عُرُسٍ تمرُّ ولا أميرٍ(٤٢)

يقول إنه خير للرجال أن يتزوجوا بالفتيات العفيفات العابدات اللاتي لا يتبَّرجن ولا يخرجنَ من بيوتهن إلى الشوارع. وهو يشبه سترهن في الخدر بفاعل افعال المدح والذم الذي يكون مستتراً دائماً عند تفسيره بالتمييز.

ومنها قوله، مستعيناً «كان»:

---

٤٠ ــ نفسه، ص٤٧٣

٤١ ــ يقتصر فاعل افعال المدح والذم علي انواع معينة منها: الضمير المستتر وجوباً بشرط ان يكون ملتزما الإفراد والتذكير وعائداً علي تمييز بعده يفسر ما في هذا الضمير من الغموض والإبهام نحو: نعم قوماً العرب اي: نعم القومُ قوماً ففي نعم ضمير مستتر وجوبا تقديره هو يعود الى التمييز (قوما).(النحو الوافي ، ٣: ٣٠٠)

٤٢ ــ نفسه، ص ٤٦٥

والمرءُ كانَ ومثلُ كان وجدتُه حالَيهِ في الإلغاء والإعمال[٤٣]

نظر المعري إلى الإنسان وإلى أفعاله وحالاته نظرة نحوية وشبهه بفعل «كان» إعمالاً. الغرض الذي قصده الشاعر بهذا البيت هو أنه كما يكون بفعل «كان» عاملاً فيرفع المبتدأ وينصب الخبر ويكون تارة غيرعامل كذلك يكون الإنسان في حياته عاملاً مجتهداً ومتى ما مات و دفن أصبح ملغى غيرعامل.

وفي موضع آخر يشبه شاعرنا احتجابه عن عيون الناس واعتزاله إيّاهم بفاعل «نعم» فيقول:

إذا مَرَّ أعمى فارحمُوه وأيقِنُـــوا وإن لم تكفُّوا أنَّ كُلَكم اعمى
وما زال نعم الرأيُ لي أنَّ منزلي كأني فيه مُضمرٌ كُنُّ في نعْما[٤٤]

يمدح المعري الطريقة التي إختارها في حياته وهو إعتزاله عن الناس وقراره في البيت ويعتبرها رأياً صائباً، ثُم يشبه نفسه معتزلاً في البيت، محتجبا عن عيون الناس بفاعل افعال المدح والذم الذي يكون مستتراً وجوباً متى فسره تمييز منكر.

المصطلحات العروضية

لا ريب أن المعري كان عروضيا بارزاً عارفاً ببحورالشعر العربي وقوافيه وملما بما يؤخذ على الشاعر ارتكابه وهذا الامر يتجلى في اشارات عروضية جرت على قلمه فـــي مقدمته للزوميات وفيما تجشمه من القوافي الوعرة وهذا الأمر قد تمثل في شعره باستخدام رموز ومصطلحات عروضية لا يتيسر فهمها إلا لمن كان متقنا لهذا العلم، منها قوله:

ألم تر أن طويل القريـــــ ـــض من متقاربه والهزج[٤٥]

هذا البيت يشير إلى اختلاط العالم الذي يشبه البحر الطويل، إذ إن الطويل تكوّن مـــن اختلاط المتقارب الذي يبنى على (فعولن) والهزج الذي يبنى على (مفاعيلن) وإنه مركب منهما لأن تفاعيله (فعولن مفاعيلن) ثماني مرات[٤٦].

---

٤٣ ــ فعل «كان» ثلاثة اقسام: ناقصه وتامة وزائدة. في الحالة الأولي تكون عاملاً فترفع المبتدا وتنصب الخبر، وإذا كانت تامة تحتاج إلي الفاعل فقط وأما إذا كانت زائدة، فإنها غير عاملة فلا تحتاج إلي فاعل أو اسم وخبر (النحو الوافي، عباس حسن، ١: ٤١٧)

٤٤ ــ نفسه، ص٣١١

٤٥ ــ نفسه،ص١٣٦

٤٦ ــ الأسمر،٢٠٠٥،ص٦٧

ومنها قوله:

عش يا بن آدم عدة الوزن الذي يدعى الطويل ولا تجاوز ذلكا

فإذا بلغت وأربعيــن ثمانياً فحياة مثلك أن يوسد هالــكا[٤٧]

يقول على الانسان أن يقتنع في حياته بثمانية وأربعين عاما وعبر عن هــذا المعنــى اعتمادا على عدد حروف البحر الطويل لأنه مركب من ثماني تفاعيل أربع منها مكونــة من خمسة أحرف (فعولن×٤) وأربع أخرى مكونة من سبعة أحرف (مفاعيلن×٤) وربما تسميته بالطويل تعود إلى عدد حروفه حيث قيل «سمي طويلا لأنه أطول الشعر وليس في الشعر ما يبلغ حروفه ثمانية وأربعين حرفا في البحور غيره»[٤٨].

ومنها:

غدوتُ أسيرا في الزمان كأنني عروضُ طويلٍ قبضُها ليس يبسَطُ[٤٩]

يشير إلى أنه وقع أسيرا في يد الزمان ولا يتغير حاله وشأنه في ذلك شــأن البحــر الطويل الذي عروضه مقبوضة على الدوام والقبض في الطويل هو حذف الخامس الساكن الذي يلزم حذفه في عروض الطويل أي في تفعيلته الأخيرة من الشــطر الأول ويصــير (مفاعيلن) في عروضه (مفاعلن).

ومنها:

وأكرمني على عيبي رجالٌ كما رُوي القريضُ على الزحافِ[٥٠]

يقول إن الناس يكرمونني رغم ما فيّ من العيوب كما يروون أشعارا فيها الزحاف ولا يعيبونها على الشاعر وإنما يعتبرونها من الجوازات الشعرية، والزحاف تغيير يطرأ على الحرف الثاني من الأسباب ويكون بتسكين المتحرك أو حذفه أو حذف الساكن ففي مثل متَفاعلن يكون بتسكين التاء فتصير متْفاعلن وتنتقل إلى مستفعلن أو بحذفها فتصير مفاعلن[٥١].

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

٤٧ ــ لزوم،ص٢٨٠

٤٨ ــ الهاشمي،٤٢،٢٠٠٦

٤٩ ــ لزوم،ص٢٢٧

٥٠ ــ نفسه،ص٢٤٣

٥١ ــ مصطفى،؟،٣١

ومنها:

بقائي الطويلُ وغيي البسيطْ وأصبحتُ مضطربا كالرجزْ

في الشطر الأول يشير إلى المعنى اللغوي للبحرين الطويل والبسيط ويشكو من أنه قد عاش حياة طويلة في غباوة منبسطة وفي الشطر الثاني يلمح إلى ما يعانيه من الآلام والمصاعب مستمدا من حالات بحرالرجز الذي تضطرب تفاعيله ويكثر فيه دخول الزحافات والعلل.

والشاعر بالإضافة إلى ما مر بنا من الرموز العروضية قد يستخدم مصطلحات القافية في شعره، منها قوله:

بُعدي عن الإنس بُرءٌ من سقامهم وقُربُهم للحجى والدين إدواءُ

كالبيت أُفردَ لا إيطاءٌ يدركه ولا سنادٌ ولا في اللفظ إقواءُ[٥٢]

يبرر الشاعر ما اختار من حياة العزلة والإنفراد معتقدا بأن الإعتزال عن الناس ينجّيه من شرورهم وأسقامهم فشبّه نفسه في انفراده وبعده عن شرورالناس بالبيت المفرد الذي لا يعتريه الإيطاء ولا السناد ولا الإقواء. هذه المصطلحات الثلاثة من عيوب القافية والإيطاء هو أن تتكرر القافية في قصيدة واحدة بلفظها ومعناها من غير فاصل أقله سبعة أبيات والسناد هو اختلاف ما يراعى قبل الروي من حروف وحركات والإقواء هو اختلاف حركة الروي في قصيدة واحدة كأن يكون الروي في بيت مجروراً وفي آخر مرفوعاً[٥٣].

ومن البديهي أن كل هذه العيوب لا تقع في البيت الواحد وكأنما المعري هو هذا البيت يعيش بمعزل عن شرور الناس وأذاهم.

النتيجة:

نستخلص مما مر بنا أن:

١ــ أبا العلاء قد ألح في توظيف المصطلحات الصرفية والنحوية والعروضية في شعره إلحاحاً كثيراً وحاول أن يرد كثيرا من أفكاره إلى علل أصحاب الصرف والنحو والعروض ومصطلحاتهم.

---

٥٢ ــ لزوم،٢٦

٥٣ ــ الأسمر،٢٠٠٥،ص١٦٤-١٦٥

٢ــ إكثار المعري من استخدام هذه الرموز زاد شعره غموضا وصعوبة وأفسد بذلك التعبير الشعري إذ طغى عنصرا التفكير والإقناع على عنصري التخييل والعاطفة.

٣ــ الشاعر استخدم هذه المصطلحات ليعبر بها عن أفكاره وآرائه من جهة ويثبت معرفته العلمية الواسعة من جهة أخرى وبذلك خلا كلامه من الجمال الشعري وأصبح أقرب إلى النثر منه إلى الشعر.

المصادر:

أولا: الكتب

١- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (د.ت)، تحقيق د. احسان عباس، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت.

٢- أبوتمام، ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي، (١٩٩٤م)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، الطبعة الثانية، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣- أبوشاويش، حماد حسن، النقد الأدبي الحديث حول شعر أبي العلاء المعري، (١٩٨٩م)، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت.

٤- أبوالعلاء المعري، ديوان لزوم ما لا يلزم، (٢٠٠١م)، شرح كمال اليازجي، دارالجيل، بيروت.

٥- الأسمر، راجي، علم العروض والقافية، (٢٠٠٥م)، دار الجيل، بيروت.

٦- البستي، أبوالفتح، ديوان أبي الفتح البستي، (١٩٨٩م)، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق.

٧- حسن، عباس، النحو الوافي، (د.ت)، الطبعة الثانية، دارالمعارف، القاهرة.

٨- حسين، طه، تجديد ذكرى أبي العلاء، (د.ت)، دارالمعارف، القاهرة.

٩- حسين، طه، تعريف القدماء بأبي العلاء، (١٣٨٤ق)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الدار القومية للطباعة، القاهرة.

١٠- الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، (١٤٠٠ق)، الجزء الثالث، دارالفكر، بيروت.

١١- ضيف، شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي،(د.ت)، الطبعة الثالثة عشرة، دار المعارف، القاهرة.

١٢- المتنبي، أبو الطيب، ديوان المتنبي، (١٩٩٧م)، شرحه وضبطه وقدم له على العسيلي، موسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
١٣- مصطفى، محمود،أهدى سبيل إلى علمي الخليل العروض والقافية، (د.ت)، دار القلم، بيروت.
١٤- موافي، عثمان، في نظرية الأدب، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، (٢٠٠٠م)، دارالمعرفة الجامعية، الإسكندرية.
١٥- الهاشمي،السيد أحمد، ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، (٢٠٠٦م)، ضبطه وعلق عليه علاء الدين عطية، الطبعة الثالثة، مكتبة دارالبيروتي، بيروت.
١٦- اليازجي، كمال، أبوالعلاء ولزومياته، (١٤١٧ق)، دار الجيل، الطبعة الثانية، بيروت.

ثانيا : المقالات

١- آينه وند، صادق، پيش درآمدي بر شناخت سبک ادبي أبو العلاء المعري، (١٣٧٧ش)، مجلة مدرس علوم انساني،الشتاء،العدد٩.
٢- السعدني، المصطفى، الإسترفاد الشعري في لزوميات المعري بين التأثير والتأثر، (١٤١٨ق)، منشورات ندوة أبي العلاء المعري، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، الجزء الأول، دمشق.
٣- الشايب، أحمد، أبو العلاء شاعر أم فيلسوف، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دمشق.
٤- الشريقي، محمد، أسلوب المعري ومناهجه، (١٩٤٥م)، منشورات المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري، دمشق.
٥- علي محمد، احمد، تأثرالمعري في سقط الزند بشعر المتنبي،(١٩٩٧م)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاءالمعري.
٦- النجار،عز الدين، المعري حياته ونشأته وثقافته، (١٤١٨ق)، الجزء الأول، منشورات ندوة أبي العلاء المعري.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی